

اللائق، لكون اللغة العربية لغة عالمية تنقل المعارف والعلوم، لغة مؤسساتية تعكس السيادة والإبداع والتفكير. لقد كانت اللغة الرسمية للدولة؛ واللغة الرسمية "مرتبطة في بعض جوانبها بالدولة سواء من حيث نشأتها أم من حيث توظيفاتها الاجتماعية التي تسيطر عليها لغة رسمية" (1).

وهناك سؤال آخر مهم، يطرح نفسه بإلحاح شديد، فلماذا كان فتح المغرب من أكثر الفتوحات الإسلامية مشقة، ومن أطولها زمناً؟ وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا يصب الأدب هذه الصدمة؟ فمن "المتوقع أن تكون هذه الخاصة التي اتسم بها الفتح العربي قد أحدثت نوعاً من عدم الاستقرار بالنسبة للبربر، وكانت عاملاً من عوامل قبولهم لحركات الخروج على الدولة الإسلامية، لكن من المؤكد أن أساليب العرب في الاندماج مع البربر، سواء بالاشتراك في الحروب ضد الوثنية الباقية، أو في فتح الأندلس، أو عن طريق المصاهرة، أو في العادات الاجتماعية، فضلاً عن وسائل الاندماج التي تحتمها طبيعة الفاتحين المسلمين، حيث أحس المسلمون من سكان البلاد الأصليين أن العرب جاؤوا من أرض النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومن هنا أسلموهم القيادة في كثير من الأحوال" (2).

ولعل من أهم العوامل التي ساعدت على مثل هذه المعاملة، هو أن القيادة السياسية كانت واعية بهذا الأمر، فقضت على كل ما يؤدي إلى القطيعة والاختلاف والتفرقة، كما أنها لم تترك الوقت للتفكير وأخذ المبادرة، ثم إنها استفادت من خصوصية الفتح الإسلامي الذي جاء يدعو إلى العدل والتسامح، والسلم، وهي قيم إنسانية ونبيلة يسعى البشر إليها.

وإذا كان الأمر كذلك، فهل استطاعت تلك الكتابات أن توصل إلى الجمهور خطاباً معيناً يعكس ذلك الوجه الحضاري لدولة بني حماد؟ وتبدو الإجابة عن هذا السؤال سابقة لأوانها، قبل الاحتكام إلى تلك النصوص الأدبية، التي جاءت لتكشف عن البنيات الذهنية المكونة للمؤسسات الثقافية الحمادية، والتي يوجهها النشاط الفكري للمجتمع الحمادي.

ومن الأسئلة المهمة في هذا المجال، ما مدى استقلالية هذا الأدب عن الأدب العربي في المشرق، وما مدى تبعيته له؟ وهل استطاع أن يوجد فعالية نقدية تتعامل معه تعاملاً فنياً تنظيمياً حتى يكون أدباً فاعلاً، وحقلًا منتجاً يتمشى وطموحات الدولة الحمادية، التي وظفت الأدب وسيلة للمساهمة في تكوين الدولة والدعاية لها، وفي تسيير شؤونها من خلال تلك الرسائل التي